التُراث المادي بمدينة الخمس (جبل المرقب ورأس الحمّام نموذجاً)

أ. ماجد عبدالله أبو خطوة

جامعة المرقب– ليبيا

الملخص:

تضمن التُراث الليبي عامة ومدينة الخمس تحديداً خلال فترة ما قبل العهد الإسلامي حتى نهاية العهد الايطالي، بقائمة من الشواهد الأثرية الهامة على تلك الفترات، وقد اشتملت تلك الشواهد الأثرية على الموارد التراثية منها المعالم الأثرية كالمدن والمساجد والقصور والقلاع الحربية وغيرها، كما تحتضن مدينة الخمس العديد من موارد التراث المادي الطبيعي المتميزة مثل شواطئ البحر، والجبال ذات الإطلالة البحرية، وأشهرها جبل المرقب ورأس الحمام، وما تحتويه من أثار كلاسيكية، وإسلامية من شأنها أن تسهم في التنمية المستدامة، إلي جانب إنها تنمي وتعزز هُوية المواطن وتعرفه بتاريخه وحضارته.

كلمات افتتاحية: تراث، الخمس، آثار، جبل المرقب، رأس الحمّام.

The Libyan heritage in general and the city of Al-Khoms specifically during the period before the Islamic era until the end of the Italian era, included a list of important archaeological evidence from those periods. This archaeological evidence included heritage resources, including archaeological monuments such as cities, mosques, palaces, military castles, and others. The city of Al-Khoms also includes many Of the distinguished natural material heritage resources such as sea beaches and mountains with a sea view, the most famous of which are Jabal Al-Marqab and Ras Al-Hamam, and the classical and Islamic antiquities they contain that would contribute to sustainable development, in addition to developing and strengthening the citizen’s identity and familiarizing him with his history and civilization.

المقدمة:

تضمن التُراث الليبي عامة ومدينة الخمس تحديداً خلال فترة ما قبل العهد الإسلامي حتى نهاية العهد الايطالي، بقائمة من الشواهد الأثرية الهامة على تلك الفترات، وقد اشتملت تلك الشواهد الأثرية على الموارد التراثية منها المعالم الأثرية كالمدن والمساجد والقصور والقلاع الحربية وغيرها، كما تحتضن مدينة الخمس العديد من موارد التراث المادي الطبيعي المتميزة مثل شواطئ البحر، والجبال ذات الإطلالة البحرية، وأشهرها جبل المرقب ورأس الحمام، وما تحتويه من أثار كلاسيكية، وإسلامية من شأنها أن تسهم في التنمية المستدامة، إلي جانب إنها تنمي وتعزز هُوية المواطن وتعرفه بتاريخه وحضارته.

أهمية الموضوع: يعتبر التراث الثقافي بشقيه المادي والغير مادي عنصراً هاماً يمثل هوية المجتمع لذا اهتم المتخصصون في مجال التراث برعايته وحفظه، أيضا للقيمة التاريخية والأثرية لجبل المرقب ورأس الحمام، التي تُعد عنصر مهم من عناصر التراث المادي للمدينة من خلال موقعهما الاستراتيجي الهام إلى جانب احتوائها على معالم أثرية شاهدة على عراقة المكان.

أهداف البحث: التعريف بمفهوم التراث الثقافي وأنواعه.

- تسليط الضوء على آثار جبل المرقب، ومنطقة رأس الحمام.
- التوعية بأهمية تراث مدينة الخمس وكيفية الاستفادة منه وإعادة توظيفه.

مشكلة الدراسة: تتمثل إشكالية الدراسة في عدم المعرفة الكاملة بمفهوم التراث الثقافي وأهميته للمجتمع كذلك تعرض أغلب أشكال هذا التراث للمخاطر والتحديات قد تهدده للطمس والتشويه والتلف وتتمحور مشكلة الموضوع في تحديد ما هو التراث الثقافي

وأنواعه داخل مدينة الخمس وما هي المخاطر التي يتعرض لها والتدابير الواجب إتباعها لحمايته والمحافظة عليه.

منهجية الدراسة: لقد اتبعت المنهج الوصفي بالإضافة إلى الجانب التحليلي لنماذج الدراسة والوقوف عليها بشكل مباشر من خلال الزيارات الميدانية والذي يمكنني من الوصول إلى الحقائق والنتائج المرجوة.

المحور الأول: ما هو التُراث الثقافي وأنواعه.

تمهيد: تتسم مدينة الخمس الواقعة شرق العاصمة الليبية بحوالي 120 كيلو متر بميزة جعلت منها من أهم المدن الليبية على المستوى السياحي، حيث تحوي المدينة على العديد من المواقع والمباني الأثرية، فقد استوطنتها العديد من الحضارات بدايةً من الحضارة الفينيقية فالرومانية مروراً بالحضارة البيزنطية ثم الحضارة الإسلامية وصولاً لفترة الاحتلال الايطالي ، ومن أبرز الآثار الموجودة بها مدينة لبدة الكبرى وفيلا سيلين وكنيسة الخمس، ومسجد الباشا ومسجد الفرجاني ومسجد الصوادق والمنارة البحرية، وتعد هذه الآثار دليلاً واضحاً وجلياً على أصالة وعراقة هذه المنطقة، إضافة إلي ذلك احتوت المدينة على موارد التراث المادي الطبيعي المتميزة مثل شواطئ البحر، والجبال ذات الإطلالة البحرية، وأشهرها جبل المرقب ورأس الحمام، وما تحتويه من أثار كلاسيكية، وإسلامية.

من هذا المنطلق تعتبر مدينة الخمس من أهم المناطق السياحية في ليبيا ويعود ذلك إلى موقعها الجغرافي المتميز وكذلك وريثة سلسة من الحضارات العريقة على مر التاريخ، وخاصة إن وجد في نفس المكان التراث المادي المتمثل في المعالم الأثرية والمناطق الطبيعية مثل ما هو موجود في جبل المرقب ورأس الحمام.

فالتراث التاريخي والثقافي للمدينة يعتبر عاملاً رئيسياً للجذب السياحي لها، الأمر الذي يشجعنا ويحتم علينا حمايتها والحفاظ عليها، حيث أضحت الآثار الثابتة والمنقولة من أهم المقومات التي تعتمد عليها الأنشطة السياحية وما يترتب عليها من أنشطة اقتصادية تعود بالنفع على المدينة حيث أنها تمثل أحد مصادر الدخل القومي للعديد من الدول بفضل تلك الموارد التراثية وبهذا يجب علينا أن نتعرف على ماهية التراث الثقافي بشقيه المادي والغير مادي بشكل عام؟ ما هو مدلوله وأنواعه؟ وأهميته؟

التعريف اللغوي للتراث:

إن التراث الثقافي عُرف بتسميات عديدة في الناحية اللغوية والاصطلاحية ولهذا فهو يتميز بخصائصه عن كل المصطلحات والمفاهيم المشابهة له حيث إن مصطلح التراث الثقافي هو مصطلح مركب من كلمتين، فكلمة التراث تعني من الناحية اللغوية بالمال المتوارث بين الأجيال وكلمة ثقافي مصدرها ثقف وهي جمع الثقافات العلوم والمعارف والفنون توصلت إليها أمة أو بلاد في المجالات المختلفة من الأدب والفكر وفن وصناعة وعادات (حسن، 2022، ص7)

لقد وردت لفظ التراث في اللغة العربية من مادة (و، ر، ث) ومرادفها (الإرث) و(الورث) والتي تطلق على ما يرثه الإنسان من والديه (أبو العزم،2011، المكتبة الشاملة) وقد ورد اللفظ في القران الكريم في قوله تعالى (وتأكلون التُراث أكلاً لمًا) (سورة الفجر أية 21) بمعنى آكل حقوق الآخرين في الميراث وفي قوله (ولله ميراث السّموات والأرض) (سورة آل عمران أية 180) بمعنى أنّه يرث كل شيء (الحاج، 2021،ص 6).

وقد وردت في القواميس والمعاجم التراث انه هو كل ما لَهُ قيمة باقية من عادات وآداب وعلوم وفنون انتقل من جِيل إلى جِيلٍ كذلك ما خلّفه السَّلف من آثار

علمية وفنية وأدبية، سواء مادية كالكتب والآثار وغيرها، أم معنوية كالآراء والأنماط والعادات الحضارية (عمر،2008،www.almaany.com).

تعريف التراث في المواثيق والمعاهدات الدولية:

إن تعريف التراث والحفاظ عليه حسب ما جاء في المواثيق والاتفاقات الدولية الأكثر شهرة وانتشاراً والتي تعتبر عالمية المرجعية والتي اعتمدت عليها أغلب البلدان والمؤسسات الدولية التي تهتم بشؤون التراث التقافي والممتلكات الحضارية بكافة أنواعها حيث جاء أمثلة منها كما يلي:

* اتفاقية لاهاي لسنة 1954 م لحماية التراث الثقافي العالمي في حالات النزاع المسلــح.

* تعريف ميثاق أثينا 1931 (يقصد بالممتلكات الثقافية هي الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب كالمباني المعمارية أو الفنية أو التاريخية) (حسن، 2022، ص30).

* ميثاق البندقية 1964 (ذكر مفهوم المعلم التاريخي لا يشمل فقط على المباني المعمارية المنفصلة على البيئة والطبيعية التي تكون دليلا على حضارة ما بل أيضا على الأعمال البسيطة التي اكتسبت بمرور الوقت معنى ثقافياً) (علــيان، 2005، ص66).

* ميثاق واشنطن 1987 (يختص هذا الميثاق بالمدن الكبيرة أو الصغيرة والمراكز أو الأحياء التاريخية وعلاقتها مع بيئتها الطبيعية) (سلطان،2013،ص11).

* اتفاقية اليونسكو باريس لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي 1972 (جاء في المادة الأولى أن التراث الثقافي يعني الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير على المباني والعناصر أو التكوين ذات الصفة الأثرية والنقوش والكهوف ومجموعات المعالم التي لها قيمة عالية استثنائية وفي المادة الثانية والتي تعنىُ بالتراث الطبيعي على اختلافه) (الكحلاوي، 2007، ص 79).

* اتفاقية اليونسكو الحفاظ على التراث غير المادي، باريس 2003م ونصت هذه الاتفاقية على انه يقصد بالتراث الثقافي غير المادي هي الممارسات، والتعبيرات، والمعرفة والمهارات، بالإضافة إلى الوثائق، والأغراض والقطع الفنية، والمواقع الثقافية المرتبطة بها(حسن، 2022، ص35).

* تعريف التراث العمراني في الميثاق العربي للمحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته، الصادر في عام 2004 م، إذ نص على أن العمراني هو كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومبان وحدائق ذات قيمة أثرية، أو معمارية، أو اقتصادية، أو تاريخية، أو علمية أو ثقافية أو وظيفية ... (حسن، 2022، ص36).

أما في ليبيا تخضع الممتلكات الثقافية للقانون رقم (3) لسنة 1995 بشان حماية الآثار والمدن القديمة والمباني التاريخية(الحاسي، 2023، ص207) كذلك مصادقة الدولة الليبية على اتفاقية اليونسكو لصون التراث غير المادي في سنة 2023م (وكالة الأنباء الليبية ،2023).

أي إن **التراث الثقافي** هو: كل ما خلّفه الإنسان من إرث مادي ومعرفي عبر الزمان في مختلف مناحي الحياة وفي شتى مجالاتها كالثقافة والتاريخ والأدب والحضارة والفن والنظم والصناعة والزراعة والعمارة والتقاليد والعادات والأعراف، فهو يختلف عن التراث الطبيعي الذي شكلته الطبيعة والجغرافيا واحتفظ بمكانه عبر الزمان.

ويمكن القول إن التراث بمفهومه الواسع هو خلاصة ما ورّثته الأجيال السالفة للأجيال الحالية، وما زال باقيا في حياة الحاضر، والتراث يجسد ثقافة الفرد، والجماعة، والمجتمع، والأمة، فهو المُعبِر الصادق عن الموروثات والانجازات الفكرية، والثقافية، والحضارية على مستوى المجتمع المحلي وعلى مستوى الأمة بأسرها. (الزهراني، 2012، ص27)

كما انه يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، وهو الذي يحفظ لهما الهوية والانتماء وهو الركيزة التي ترتكز عليها الأمة في بناء نهضتها، والجذور التاريخية التي تشكل استمرار وجودها، وأصالتها، ويساعدها على مواجهة ما يصادفها من تحديات (الحاج، 2021، ص9).

أنواع التراث ينقسم التراث بشكل عام إلي قسمين رئيسيين: هما التراث المادي والتراث الغير مادي.

التراث المادي ويشمل على:

1- الآثـار الثابتة: هي أحد أشكال التراث الثقافي وتتمثل في ما يخلّف الأجداد من آثار ظلت باقية تشمل التراث المعماري الأثري والمواقع الأثرية من منشآت دينيـة المساجد والمدارس وجنائزية كالمعابـد والمقابـر والمباني والتحصينات العسكريـة كالقلاع والأبراج والأسوار والمباني المدنية مثل القصور والبيوت والمنشئات المائية والزراعية وغيرها.

(أبوخلف، 2022، www.mawdoo3.com).

2- الآثار المنقولة: وتتمثل في المنحوتات والمواد المنقوشة والمخطوطات والطوابع والمسكوكات والأدوات والتحف الفخارية والخزفية والزجاجية والمنسوجات والأسلحة وأدوات الزينة، والقطع الأثرية المادية التـي تصنع وتـرمم وتنتقـل عبـر الأجيـال كالإبداعات الفنية والمنتجات الحرفية الأصيلة، وغيرها من المواد الملموسة.

3- التُراث الطبيعي: ويتمثل في الصفات والأماكن الطبيعية والحيوية والجيولوجية والبيئة النباتية والحيوانات المهددة بالانقراض. (فرج ، عمار، 2022، ص67).

التراث غير المادي:

يتضمن التراث غير المادي العادات والتقاليد، أو التعبيرات الحية الموروثة من الأسلاف والتي تمّ تناقلها إلى الأحفاد، مثل: التقاليد الشفوية، وفنون الأداء، والممارسات الشعبية والاجتماعية، إضافةً إلى طقوس الاحتفالات الدينية، ومهارات إنتاج الحرف التقليدية، وفنون الطبخ التقليدي، والموسيقى، والرقص، والأدب، والمحافل والمهرجانات التقليدية والفنون التشكيلية وغيرها (أبو خلف،2022).

أي أن التراث لا يعني أشياء مادية ملموسة فقط، كالشواهد الأثرية التي لا زالت مقامة لحد اليوم، أو ما تحتفظ به خزائن المتاحف من مخلفات الماضي المادية وتمثل جسد الأمة وبقاياها، بل هو أيضا روحها المتنقلة في وجدان أفرادها، وذاكرتهم، وسلوكهم، وما اعتادوا عليه من فنون تعبيرية، وتشكيلية و أدائية مثل :الأشعار، والأساطير، والحكايات، والموسيقى الشعبية، والمعارف التقليدية وغيرها مما توارثته الأمة عبر أجيال وعصور، تعبر عن حياتها، وروحها، وثقافتها. (فرج ،عمار،2022، ص65)

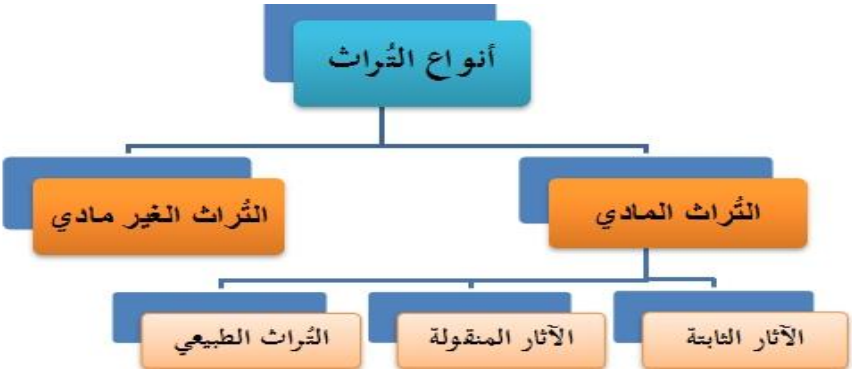

أهمية التراث الثقافي:

يعد التراث الثقافي بمثابة الروح الحية للهوية الوطنية لأي بلد، إذ يضم في طياته مختلف عناصر الثقافة من تراث مادي وغير مادي، وهي من الأسس الرئيسية لتحديد الشخصية والهوية الوطنية والاعتزاز بها.

كما يساعد التراث على زيادة معدلات التنمية في البلاد، وتطوير الاقتصاد المحلي وزيادة تداول النقد الأجنبي، وزيادة الخبرات التدريبية والتي تساهم في دعم التنمـــية الاقتـصادية والاجتماعيـــة. (مـــروان، 2017، www.mawdoo3.com) ويعتبر التراث الثقافي مصدرًا هامًا للباحثين والعلماء لدراسة الحضارات القديمة والتطورات الثقافية يمكن استخدام المواقع الأثرية والمتاحف لتعليم الجمهور وتوجيه الأبحاث وهذا يساهم في نقل المعرفة والخبرات من جيل إلى آخر.

أن الحفاظ على التراث الثقافي يعتبر بمثابة النهوض والتطور لمجتمع ما، حيث يتم الاحتفاظ بأصول وتقاليد الثقافة وتراث الأجداد وتطويرها بما يتلاءم مع تقنيات العصر الحديث، فالتراث الثقافي بكافه أنواعه يمثل موروثاً أصيلا ومتميزاً في حياته المجتمعات وتطورها وهو يواجه في عصرنا العديد من المخاطر والتحديات الآمر الذي جعله مهددا بالزوال والضياع نتيجة الانتهاكات المتكررة كالسرقة والنهب والعبث والتخريب وقت النزاعات والحروب أو عند حدوث الأزمات والكوارث الطبيعية مما يقلل الإمكانيات انتقاله إلى الأجيال القادمة الأمر الذي يستوجب ضرورة توظيف كافه الوسائل والإمكانيات من اجل توفير الحماية المناسبة له وضمان الحفاظ عليه. (فرج، عمار، 2022، ص66).

المحور الثاني: التراث المادي بجبل المرقب ورأس الحمًام:

أولاً– أثار جبل المرقب:

يقع جبل المرقب في مدينة الخمس وتحديدا على بعد 4.5 كيلو متر تقريبا من الناحية الشمالية الغربية من وسط المدينة كما انه يقع على بعد عدة أمتار من الطريق الساحلي الممتد من الشرق إلى الغرب الليبي، ويبعد عن المدخل الرئيسي للمدينة حوالي كيلومتر واحد، ومن خلاله نستطيع أن نرى المدينة بالكامل من أعلى هذا

الجبل. كما أن هذا الجبل يعتبر نهاية سلسة الجبال المعروفة باسم جبال (نفوسة) والممتدة من الناحية الغربية حتى بعد الحدود التونسية من جهة الغرب ويبلغ ارتفاعه حوالي 151 متر على مستوى سطح البحر(www.link.ui.com) ويشغل مساحة تقدر بنحو خمسة عشر هكتار تقريباً وهو عند إحداثيات 14.13.00° شرقا 32.38.37° شمالا. ويحد الجبل من الناحية الشرقية والجنوبية الطريق الساحلي ومن الناحية الغربية محطة وقود ومصنع للإسمنت، أما من الناحية الشمالية توجد منطقة سهلية بها مرتفع صغير يسمى (رأس الطينة) ويكسو الجبل أشجار السرو.

شكل (1)

شكل (1) موقع جبل المرقب عن (www.Google Earth Pro.com)

يطلق اسم المرقب في اللغة على المكان العالي المرتفع الذي يعله الإنسان ليشرف على ما حوله من الأرض المنخفضة ويذكر الطاهر الزاوي في كتابة معجم البلدان الليبية بأنه جبل عال بالقرب من مدينة الخمس وحوله ارض منخفضة إذا ما علاه الإنسان أشرف عليها كلها ومن اجل ذلك سمي المرقب أو المريقيب كما يسميه بعض الأهالي وبهذا التسمية عربية صحيحة (الزاوي، 1968، ص311).

تبرز أهمية الموقع الهام للجبل مند أن بدأت الحضارات القديمة في هذه المنطقة وخاصة الحضارة الرومانية التي تركت لنا العديد من الشواهد المادية

والمتمثلة في العمائر بمختلف أنواعها والمنتشرة داخل مدينة الخمس وضواحيها ومن هذه المواقع كان جبل المرقب الذي يعتبر من المواقع الدفاعية الهامة وخاصة لمدينة لبدة الكبرى إذ انه يعد نقطة مراقبة متقدمة من الناحية الغربية للمدينة ويتضح ذلك من خلال الموقع الأثري الموجود بقياه حتى الآن في أعلى الجبل.

كما استخدم الجبل في الفترة الإسلامية وخاصة في نهاية العهد العثماني الثاني وبداية الاحتلال الإيطالي للمدينة إذ شهد هذا الجبل العديد من المعارك بين المجاهدين الليبيين والغزاة الايطاليين حيث دارت عدة معارك عنيفة أثناء تحصن المجاهدين بالجبل، وقد كانت معركة المرقب التي حدثت في (23- 10-1911م) من أشهر المعارك وأعنفها حيث كبد الايطاليين فيها خسائر فادحة (التليسي، 1983، ص464) واستبسل فيها المجاهدين فقد بلغ عدد الشهداء حوالي مائة شهيد ضحوا بأرواحهم من أجل الوطن حيث التحم فيها المجاهدين من كافة ربوع ليبيا (الزاوي، 1968، ص311).

نظراً لموقع رأس المرقب الهام والاستراتيجي وذلك لوقعه على الطريق الرابط بين الشرق والغرب وكذلك إشرافه على منطقة واسعة لمدينة الخمس، شكل (2) أدى هذا الأمر إلي استغلال الموقع من القدم وخاصة في الفترة الرومانية تم البيزنطية مروراً بالفترة التركية وفترة الاحتلال الإيطالي، حيث نجد بعض الأطلال التي مازالت ظاهرة للعيان، ولقد تم إجراء العديد من عينات المسح الأثري للموقع منذ بداية الاحتلال الإيطالي وكان أخرها المسح الأثري للمنطقة الذي أجرته مصلحة الآثار وبالتعاون مع جامعة روما الثالثة في سنة 2013م

.(Munzi, Felici, Matoug, Sjöström Zocchi ,2016,p67)

شكل (2) موقع جبل المرقب تصوير الباحث

إذا ما تتبعنا الآثار الباقة فوق قمة تل رأس المرقب تشير هذه الآثار بأنـــها كانت عبارة عن حصن للحماية أو مركز مراقبة حيث نلاحظ السور الذي يحيط بالموقـــع والذي لم يبقى منه إلا القليل وهو بمسافة 133 متر تقريبا، كما يوجد بقايا بناء مربع الشكل تقريباً أبعاده 26م×14م، لم يبقى منه إلا الجدار بطول 51 متر يتقدم المبنى بوابة ذات عقد نصف دائرة يبلغ ارتفاعها 3.41 م وعرضها 1.98م مبنية من كتل من الحجر الجيري منتظمة بشكل جيد، وربما يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي وربما تكون هذا البوابة هي المدخل الرئيسي للبناء، شكـــل (3– 4) ويوجد على قمة التل مصطبة ذات حائط رأسي مقطوع في الصخر ويواجه الجنوب، كما يوجد بقايا مبني بالقرب من التل من ناحية الشمال وهي عبارة عن هيكل بناء مربع الشكل محاط بخندق يعتقد بأنه موقع فيلا سابقة وقد أعيد استخدام العديد من أجزائها في معاصر الزيتون القريبة من المنطقة، وهناك أيضا عناصر معمارية زخرفيه مثل الأعمدة وقواعدها (munzi,2016,p76).

من خلال المكتشفات الأثرية التي أجريت منذ بداية الاحتلال الإيطالي تم اكتشاف العديد من المنحوتات والنقوش الكتابية باللغة الفينيقية واللاتينية ، وقد سجلت من قبل البعثة الأثرية الإيطالية.

شكـل (5-6)، (http://inslib.kcl.ac.uk)

هذا وتشير كل الدلال السابقة من الآثار الموجودة بمنطقة رأس المرقب على مدى أهمية الموقع من الناحية الأثرية والإستراتيجية، إلا أنه لم تحظى هذه الآثار بالدراسة المعمقة من قبل المتخصصين في الآثار قديماً أو حتى الوقت الحاضر ولسبب بسيط هو أن تل المرقب كانت تشغله منشآت عسكرية ليس في العصور القديمة فقط وأنما خلال الحرب الإيطالية التركية مروراً بالاحتلال الإيطالي وما بعده وحتى الوقت الحاضر

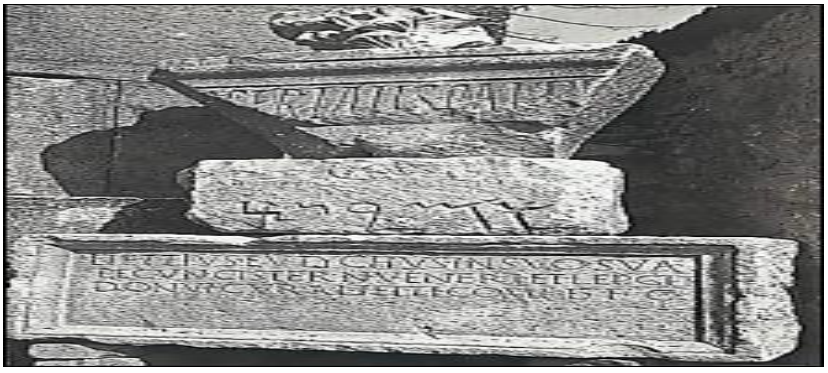

شكل(3-4) مدخل مبن جبل المرقب (تصوير الباحث)

شكل(5) النقوش الكتابية باللغة الفينيقية واللاتينية (http://inslib.kcl.ac.uk)

شكـــل (6) نقوش وجدت بجبل المرقب عن (http://inslib.kcl.ac.uk)

ثانياً- أثار منطقة رأس الحمام:

تقع منطقة رأس الحمام شرق مدينة الخمس بحوالي ثمانية كلم تقريبًا، بين خطي عرض (14.13.00°) شمالاً، وخطي طول (32.38. 37°) شرقاً (الغوري، 2010، ص 51).

منطقة رأس الحمام هي عبارة عن هضبة تطل على مدينة الخمس، وعلى البحر المتوسط، ويبلغ ارتفاعها 112م على مستوى سطح البحر (www.link.ui.com) ويعود تاريخها لفترات موغلة في القدم فقد وجدت بها أثار ترجع للفترة الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية، هذا وقد اتخذا منها المجاهدون الليبيون مركزا دفاعيًا، وهجوميًا ضد الغزاة الطليان، الذين احتلوا هذه المنطقة في 2 يوليو 1912م، وفي 21 فبراير 1923م تحركت قوة من الإيطاليين بقيادة الكولونيل تساري متجها إلي زليتن فتصدت لها قوة من المجاهدين، تقدر بحوالي ثمانمائة مجاهد، تحصن في هذا الموقع الاستراتيجي الهام، شكل (7) ونشبت هناك معركة قوية، تُعتبر من أهم المعارك التي خاضها المجاهدون الليبيون في الدفاع عن مدينة زليتن (التليسي، 1983، ص 238).

شكل (7) أثار رأس الحمام عن (www.Google Earth) Pro.com

كما إن هضبة رأس الحمام شكل (8) ومنطقة رأس المرقب كانتا منطقتان هامتان للدفاع عن مدينة الخمس أثناء الاحتلال الإيطالي (التليسي، 1983، 449-450)، وتُعد هذه المنطقة المكان الرئيسي لاستخراج الحجر الجيري المستخدم في بناء مباني مدينة لبدة الكبرى (باقر،1965، ص 40)، فهي بذلك منطقة أثرية وسياحية هامة جدًا.

شكل (8) موقع رأس الحمام (تصوير الباحث)

كما دلت الاكتشافات الأثرية منذ القرن الماضي على وجود العديد من المباني الأثرية في هضبة رأس الحمام فقد وجد بها ضريحان، ومعاصر الزيتون شكل (9)، وحمام، وفيلا، وخزان مياه، ونبع مياه قديم، وفرن حرق شكل (10) ربما كان

للفخار أو القرميد، وبعض المباني التي مازالت غير معروفة، كما عثر في هذه المنطقة على العديد من قطع الفسيفساء، ومقبرة إسلامية، بالإضافة إلى وجود نقوش كتابية إسلامية(munzi,2016,p68).

شكل (9) معصرة الزيتون بمنطقة الحمام (تصوير الباحث)

شكل (10) فرن الحرق (تصوير الباحث)

تتكون أثار رأس الحمام من مبنى مربع الشكل تقريبًا، يبلغ أبعاده حوالي 20.60×19م، وقد تم بنائه بالحجر الجيري المتوفر في المنطقة، شكل (12)، ويتم الدخول إلى هذا المبنى من خلال مدخل مستطيل الشكل متقدم قليلا عن الواجهة بحوالي 1 متر تقريبًا، ومعقود بعقد حدوة الفرس، شكل (13) يفتح في الجهة الغربية، وبداخل هذا المدخل مباشرًا توجد عتبة علوية من الحجر الجيري يبلغ طولها حوالي 0.50 سم، وعرضها 1.90م، أما سمكها فيبلغ حوالي 0.50 سم، وتحمل هذه العتبة الحجرية نقش كتابي بالخط الكوفي شكل (14) جاءت ثلاثة أسطر منها بطريقة أفقية، والرابع عموديًا بالجهة اليمنى من المدخل، والنقش الكتابي جاء كالتالي: (Abdouli,2013,74).

بسم الله الرحمان الرحيم مما أمر بعمله

الأمير سليم سنت ثالثة وسبعين (تسعين؟)

وأربع مائة على يد بن عبد الله الأنمار[ي]؟

الرحبي (؟) وإبراهيم [ابنه] (؟)

إن توزيع قبيلة آل سليم كانت على مقربة من لبدة الكبرى (لبتيس ماجنا) ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون يذكر بين الرؤساء الذين خلفوا رأس هذه القبيلة شخصًا يحمل أسم "أمير سليم" وهو الموجود فعليًا على النقش الكتابي بأعلى مدخل المبنى برأس الحمام. (Abdouli,2013,76).

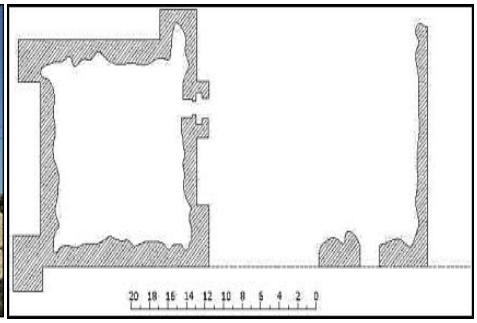

شكل (12) مبنى أثار رأس الحمام (تصوير الباحث)

شكل (13) مدخل المبنى (تصوير الباحث)

شكل (14) النقش الكتابي بالخط الكوفي(تصوير الباحث)

المحور الثالث:

أهمية التراث المادي بجبل المرقب ورأس الحمام:

يُعد جبل المرقب ورأس الحمام حلقة وصل بينهما وبين مدينة لبدة الكبرى، بما تحتويه من قيمة تراثية عالية بالإضافة إلى قربهما عن وسط المدينة إذ انه لا يبعد رأس المرقب على وسط المدينة سوء بضع دقائق وكذلك الحال إلى موقع رأس الحمام وهذه المسافة بطبيعة الحال لا تحتاج إلى مصاريف في وسائل النقل للوصول إلى مركز المدينة، بالإضافة إلى ذلك يتوسط الموقعان مطاران أحدهما في الشرق والثاني في الغرب على بعد مائة كيلو متر لكلا المطارين وكذلك وجود ميناء بحري بالمدينة.

كما يلعب المناخ دورا مهماً في استقطاب الوفود السياحية سواء من الداخل أو من الخارج إذ أن الموقعان يتمتعا بمناخ البحر المتوسط معتدل في أغلب الأوقات ويعد موقع رأس المرقب ورأس الحمام من المواقع الأثرية المسجلة من ضمن الإرث الحضاري الليبي لما تحتويه من آثار باقية حتى اليوم فالأنشطة السياحية في منطقة جبل المرقب ورأس الحمام تساهم في رفع مستوى المعيشة للمدينة وتحسين نمط حياتهم وإيجاد تسهيلات ترفهيه و ثقافية تنشأ من خلال الاحتكاك بين سكان المدينة والوافدين إليها من مختلف المناطق الأخرى، وتكوين علاقات اجتماعية التي تكون لها آثار ايجابية، ويتأتى ذلك من خلال زيادة إقبال السياح والزائرين للمواقع الأثرية والمباني التاريخية والمرافق السياحية التي تخدمها إذا وجدت ، ويساهم ذلك في زيادة الفوائد الاقتصادية العائدة على المدينة من خلال ربط السياحة بالتطوير العمراني، وخلق فرص العمل وزيادة تدفق رؤوس الأموال للاستثمار بالمدينة. (الخازمي، وأبوخطوة، والمرخية،2017، ص11).

كيفية حماية التراث المادي و المحافظة عليها:

حماية التراث المادي بمدينة الخمس:

إن حماية المواقع الأثرية وتأمينها هي مسؤولية يُناط بها جميع أهالي المدينة فضلاً عن مؤسسات الدولة بكافة أنواعها وكذلك الزوار المترددين على هذه المواقع الأثرية، ولكن توجد بعض التدابير والإجراءات يجب اتخاذها من المؤسسات التي تعنى بشؤون الآثار والمواقع التاريخية ومن بين تلك التدابير هو تسجيل وتوثيق المباني الأثرية والتاريخية التي لم تُسجل بعد، حسب ما نص عليه قانون الآثار ولائحته التنفيذية في المادة الرابعة، (الجريدة الرسمية،1996م) كذلك عمل سياج حماية للمواقع الأثرية كافة ومن بينها أثار رأس الحمام وغيرها، أيضا تركيب كاميرات مراقبة في المواقع الأثرية، وربطها بغرفة تحكم مركزية في مقر الشرطة السياحية ومديرية أمن الخمس، كذلك إقامة دورات تدريبية وورش عمل بشكل دوري لرجال الأمن القائمين على حماية المواقع الأثرية. وتوفير سيارات مجهزة لرجال الأمن للقيام بدوريات تفقدية للمواقع الأثرية.

الحفاظ على المواقع الأثرية بمدينة الخمس:

أنّ التراث هو الهوّية التي تساعد على تشكيل التاريخ وعلى الدولة دور كبير في نشر الوعي بين المواطنين ولكي نتمكّن من الحفاظ على مواقع التراث المادي، لابد من وجود وعي كامل بما يتوجبّ علينا فعله تجاه هذا التراث ويتمثل ذلك بما يلي:

- التعريف بأهمية التراث من خلال وسائل الإعلام المختلفة، أو عن طريق إقامة المعارض والندوات والملتقيات والمهرجانات السياحية وطبع المنشورات.
- الحرص على الصيانة المستمرة للمباني الأثرية وخصوصاً التي تحتاج إلى صيانة فورية.
- الحرص على تنمية وتطوير المواقع الأثرية وذلك بإعادة تأهيل وتوظيف المباني الأثرية بالشكل الصحيح حتى يتم الاستفادة منها

- إعداد برامج خدمة المجتمع من قبل كلية الآثار والسياحة ومراقبة أثار لبدة للتعريف بالآثار الموجودة في المدينة لطلاب المدارس وتكتيف الرحلات المدرسية لها.

مقترح توظيف التراث:

أن عمليات المحافظة على المباني والمناطق الأثرية لا تتوقف على الترميم والصيانة فقط حيث إن توظيف المباني والمناطق الأثرية التوظيف الملائم يساعد على تطويرها وعودة الحياة إليها من جديد، وقد فطنت الدول المتقدمة إلى ضرورة استثمار المباني والمناطق الأثرية ليس فقط لزيادة الجذب السياحي إليها، ولكن أيضا لمشاركة المواطنين في استعمالها الذي يضمن استمرارها ويصبح الأثر بعد ذلك جزءًا من المجتمع. (إبراهيم ، 1983، ص1).

ومن هذا المنطلق وضعنا بعض من المقترحات التي يمكن أن تخدم التراث بمنطقة رأس الحمام أن يتم استخدامه فضاء مفتوح للتنزه والأنشطة الرياضية مع التأكيد على الاحتفاظ بالمباني الأثرية الموجودة في هذا الموقع وترميمها وصيانتها، حيث لم تعد السياحة مقتصرة على زيارة المواقع الأثرية القديمة التي خلفتها الحضارات السابقة فقط، بل تعدى ذلك بكثير، فأغلبية الناس يفضلون قضاء الإجازات ووقت الفراغ في الذهاب للاماكن المفتوحة مثل المنتزهات والحدائق للاستمتاع بها أو ممارسة أنواع الرياضة أو مشاهدتها على مختلف أنواعها. وبما أن منطقة رأس الحمام تمتلك المقومات الأساسية لهدا النوع من السياحة من حيث المساحة الشاسعة الخضراء التي تتخللها أنواع مختلفة من الأشجار التي يمكن استغلال هذا الموقع وإعادة توظيفه للسياحة الرياضية وذلك بتوفير العديد من المرافق الرياضية بإقامة قرية رياضية تحتوي على الملاعب بمختلف أنواعها والصلات المغلقة والمساحات المفتوحة ومركز للعلاج الطبيعي إلى جانب المرافق الأخرى

كالفنادق وغيرها وتوفير الموصلات وشبكة اتصالات جيدة هذا بالإضافة إلى المطاعم والمقاهي ذات الطابع المحلي.

أما جبل الرقب فيقترح أن يتم إنشاء متحف على هيئة قلعة متماشية مع طبيعة الموقع الدفاعية والتي استخدم منذ الحضارة الرومانية إلى فترة الاحتلال الإيطالي ويكون المتحف متخصص في تاريخ الجهاد الليبيين، مع المحافظة على الموقع الأثري الموجود حاليا ومحاولة إعادة ترميمه، كما يتم استغلال المساحات الموجودة على سفح الجبل كمنتزهات ومناظر استشرافية تطل على مدينة الخمس من الأعلى.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات

النتائج: إن التراث الثقافي هو كل ما خلّفه الإنسان من إرث مادي ومعرفي عبر الزمان في مختلف مناحي الحياة وفي شتى مجالاتها كالثقافة والتاريـــخ والأدب والحضارة والفن والنظم والصناعة والزراعة والعمارة والتقاليد والعادات والأعراف وغيرها.

يعد التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي بمثابة الروح الحية للهوية الوطنية فهو المعبِر الصادق عن الموروثات والانجازات الفكرية، والثقافية، والحضارية لأي بلد.

يعتبر التراث المادي بجبل المرقب من أحد الأماكن الهامة لما يحوي من مقومات سياحية تتمثل في موقعه الاستراتيجي الهام .

من خلال الدراسة تبين أن منطقة رأس الحمام تعتبر منطقة مهمة حيث تعاقبت عليها العديد من الحضارات وقد أثبت ذلك من خلال المكتشفات الأثرية التي تعود إلي فترات مختلفة.

تعتبر منطقة رأس الحمام وجبل المرقب مناطق ذات جدب سياحي وذلك لما تتمتعان بهما من مقومات أثرية وسياحية تجعل منهما وجهة رئيسية يجب حمايتها والمحافظة عليها.

التوصيات:

- تسجيل وتوثيق المباني الأثرية والتاريخية التي لم تُسجل بعد، حسب ما نص عليه قانون الآثار ولائحته التنفيذية في المادة الرابعة.

عمل سياج حماية للمواقع الأثرية و الحرص على الصيانة المستمرة للمباني الأثرية وخصوصاً التي تحتاج إلى صيانة فورية.

- التعريف بأهمية مناطق الدراسة من خلال وسائل الإعلام المختلفة (القنوات التلفزيونية والإذاعية وسائل التواصل الاجتماعي الالكترونية وعن طريق إقامة المعارض والندوات والملتقيات والمهرجانات السياحية وطباعة المنشورات).
- إجراء العديد من الدراسات من قبل الأكاديميين والمتخصصين بشؤون الآثار والسياحة لكي يستفاد منها في حماية التراث والمحافظة عليه .
- إشراك المواطنين ومؤسسات المجتمع المدني في الحفاظ على تراث المدينة.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. إبراهيم، عبد الباقي، (1983)، توظيف المباني والمناطق الأثرية .الندوة العالمية لحماية حلب القديمة، سوريا.

3. أبو العزم، عبد الغني، 2011، المكتبة الشاملة، https://old.shamela.ws/rep.

4. أبو خلف، رزان (2022) https://mawdoo3.com.

5. باقر، طه.(1965). لبدة الكبرى. طرابلس: مصلحة الآثار.

6. التليسي، خليفة محمد. (1983). معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931، طرابلس.

7. الحاج، سارة، (2021) التراث المادي واللامادي في الجزائر، بحث منشور، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 2021.

8. الحاسي، أحمد عيسى، (2018)، الحماية الدستورية للتراث الأثري في ليبيا، مجلة كلية الآداب جامعة عمر المختار.

9. حميدة حسن، (2022) حماية التراث الثقافي، رسالة ماجستير، قسم القانون الخاص جامعة البليدة، الجزائر.

10. الخازمي، محمد وأبو خطوة، ماجد والمرخية، أبوراوي، (2017) الموروث الثقافي بمنطقة الخمس وسُبل حمايته والمحافظة عليه، بحث منشور، المؤتمر الاقتصادي الأول للاستثمار والتنمية في منطقة الخمس.

11. الزاوي، الطاهر أحمد. (1968). معجم البلدان الليبية. طرابلس: مكتبة النور.

12. الزهراني، عبد الناصر، (2012)، إدارة التراث العمراني، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض.

13. سلطان، محمد سيد، (2013) قضايا تمويل التراث العمراني: الإطار الاستراتيجي لتعزيز حفظ وحماية التراث، ملتقى التراث العمراني الثالث المدينة المنورة.

14. عليان، جمال، (2005) الحفاظ على التراث الثقافي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

15. عمر، أحمد مختار، (2008) معجم اللغة العربية المعاصر .(https://www.almaany.com)

16. الغوري، إبراهيم حلمي، (2010). أطلس الوطن العربي والعالم. سوريا: دار الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

17. فرج، فوزية وعمار، فوزية ،(2022) التحديات التي تواجه التراث المادي في ليبيا وجهود حمايته في ضل التغيرات الراهنة، المجلة العربية لعلوم السياحة والضيافة والآثار المجلد 3 العدد 5.

18. قانون الآثار ولائحته التنفيذية في المادة الرابعة، (الجريدة الرسمية، نشر في 27 يوليو 1996م)

19. الكحلاوي، محمد، (2007) مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 8.

20. مروان، محمد، (2017)،https://mawdoo3.com.

21. وكالة الانباء (وال)، 14-12-2023م.

Abdouli, Hafed .(2013). L’inscription de Qasr al-Hammâm :nouveau déchiffrement et nouvelle lecture de son contexte archéo-historique. Libyan Studies,(44),73-84. http://inslib.kcl.ac.uk/irt2009/toc/location/3-lep.html

Massimiliano Munzi , Fabrizio Felici , Jabar Matoug , Isabella Sjöström, Andrea Zocchi(9/ 2016).The Lepcitanian landscape across the ages: the survey between Ras el-Mergheb and Ras el-Hammam (2007, 2009, 2013). Libyan Studies.47.pp 67-116.

www.Google Earth Pro.com
www.link.ui.com